الموقف الغربي ازاء فتح المدارس العربية في اسبانيا في العصر الحديث

د. حكمت
عبدالمجيد علاوي
كلية اللغات /
جامعة بغداد
قسم اللغة
الاسبانية

المُقدمة: بعد ان ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ثمانية قرون متصلة وبالتحديد من عام 711 للميلاد حتى سقوط آخر الممالك العربية في غرناطة سنة 1492 فقد وصف هذه الحضارة الكاتب الاسباني الكبير بلاسكو ايبانيث Blasco Ibanezفي كتابه (في ضل الكاتدرائية) اجمل واصدق وصف بهذه العبارة الموجزة " ومن القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر ، نشات وازدهرت اغنى واجمل حضارة شهدتها اوربا خلال العصور الوسطى بينما كانت شعوب الشمال تقاتل في حروب دينية ، وتتصرف كالقبائل الهمجية ، كما ان الشعب في أسبانيا قد عرف ارقى الفنون والعلوم والصناعات التي اتت مع هؤلاء الغرباء [يقصد بهم العرب بعد فتح الاندلس]. ومن احتكاك هذه العناصر، تدفقت معهم اكتشافات جديدة

وطاقات خلاقة ،حيث اصبحت الاندلس من اهم الطرق التي عبرت منها العلوم العربية ، والحضارة العربية الاسلامية الى عموم اوربا .
وبهذا اصبحت الاندلس العربية ، مركزا ثقافيا مشعا في التاريخ . وقد نافست قرطبة بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من امهات المدن العربية الاسلامية ، كما اصبحت كل من اشبيلية وغرناطة مركزا ثقافيا يشار اليهما بالبنان ومع ذلك لم تكن حضارة العرب في الاندلس مجرد حضارة مقلدة للمشرق العربي او مقتبسةمنه ، بل انها حضارة عربية ترسخت تحت راية لغة العرب ، للتعبير عن نواحي الفكرالانساني مع قدرة هذه اللغة لمسايرة التطور السريع في نواحي مختلفة . وبهذا لم تنتهي حدود التاثير العربي في الاندلس عن خروج العرب من غرناطة ، بل استمر هذا التأثير الفكري حتى يومنا هذا .
حيث انصبت نشاطات العديد من المثقفين الى الاهتمام بإعادة انشاء المدارس والمعاهد العربية في مختلف المدن الاسبانية والذي حاولت بموجبه السلطات الرسمية الاسبانية الى ترجمة تلك السياسة الى واقع حقيقي بمساندتها للمشاريع الثقافية العربية التي من شانها تعزيز اواصر الود والصداقة الوطيدة مع العرب ، على ضوء المصالح المتبادلة والمتكافئة . فجاء مشروع فتح المدارس والمراكز
الثقافية العربية متجاوبا مع اهداف وطموحات الاقطار العربية فقام بعض المستشرقين الاسبان و المستعمرين من المهتمين بالدراسات العربية الى تأسيس مثل تلك المدارس وهذا هو الدليل القاطع على ان اسبانيا مهما بلغ فيها من روح التعصب فانها ستبقى تفخر في تلك الحقبة النيرة من تأريخها على مر السنين . وسترى في هذه الدراسة نموذجا واحدا من النماذج الساطعة والمتمثلة بأفتتاح المدارس العربية في غرناطة في الثالث من حزيران عام 1932 أي بعد مرور 440 سنة من تاريخ خروج العرب من الاندلس عام 1492 للميلاد .

تأسيس الجمعية العربية الإسلامية – الإسبانية –

في الخامس عشر من نيسان عام 1931 اطيح بالنظام الملكي في اسبانيا واعلن عن قيام الحكم الجمهوري ، بعد فوز الجمهوريين بالانتخابات التي جرت في ربيع ذلك العام ، وعلى النقيض من سياسة النظام السابق التعصب الصليبي اشاع الجمهوريون روح التسامح الديني والسياسي والفكري ، وحدث توجه ملموس لدى بعض المفكرين والمثقفين الاسبان للاهتمام بتاريخ البلاد وحضاراتها وظهر تيار ثقافي يدعو الى مد الجسور بين الحاضر والماضي والاهتمام بالروابط التاريخية التي تجمع العرب مع الاسبان وتعميقها بأقامة المؤسسات الثقافية التي من شأنها توثيق هذه الروابط وتطويرها .

وتمثل هذا التيار بمجموعة كبيرة من الاشتراكيين الاسبان وعدد من أعضاء مجلس النواب (الكورتيس) فضلا عن عدد اخر من الادباء والكتاب والصحفين والمهندسين الذين اسسوا الجمعية الاسلامية – الاسبانية والتي انضم اليها مجموعة من المفكرين العرب واعضاء الحركة الوطنية في المغرب ، ومن ابرزهم الأمير شكيب ارسلان وعبد السلام بتونة وعبد الخالق الضريس واحمد بلافريج واحسان الجابري وبشير السعداوي وغيرهم .

وتعد الزيارة التي قام بها الرئيس الاسباني (الكالدة ثامورا Alcalde Zamora) الى منطقة الريف في المغرب دليلا واضحا على حسن نوايا اسبانيا الرسمية اتجاه العرب ، لاسيما المغاربة منهم حيث اكد ثامورا Zamora في خطابه امام الجيش الاسباني أنه يتطلع الى المستقبل وانه جاء من اجل الخير وليس من اجل الشر وذهب (ثامورا) الى ابعد من ذالك حين اعلن انه عربي وهو يفتخر بان يكون الدم الذي يجري في عروقه دم عربي [1] ويقول (انريكه دي رافيليس Enrique de Rafeles) وهو عضو سابق في مجلس النواب الاسباني " الكورتيس " وامين سر الجمعية الاسلامية – الاسبانية ان تغيير النظام في اسبانيا قد حرر الشعب الاسباني من القيود التي كانت تقيد افكاره وتخنق

[1] مجلة الفتح، العدد 377،السنة الثامنة / 11 رمضان 1352هـ ص12.

وجدانه والتي كانت تحول دون اظهار عواطفه الجياشة بملء الحرية وتحجزه عن السير نحو افكار التقدم والتسامح ، ونحو التقدير العادل الصحيح لعظمة ماضيه [2].

في اطار هذه التصورات انصّبت نشاطات مجموعة من المثقفين الاسبان مثل (فرانثيسكو كوديرا Francisco Codera) من الذين اصدروا مجموعة القوانين الخاصة بإنشاء المدارس العربية في مدريد وغرناطة ، التي ُتَعد النواة الاولى للمدارس العربية الحالية في اسبانيا والتي تميزت بالدراسات الاستشراقية التي اصدرها المستشرق (خوليان ريبيرا Julian Ribera) و(ميكيل ايسن Miguel asin) و (اميلو كارثيا كوميث Emilio Garcia Gomez) وكذلك (انطونيو كاييكو بورين Antonio Gallego Burin) و(مارين اوثينته Marin Ocente) و(اليخاندرو اوتيرو Alejandro Otero) و (فرناندو دي لوس ريوس Fernando De Los Rios) الذي كان وزيرا للمعارف في اول حكومة جمهورية [3] وعلى نحو توافقي مع هذه التوجهات ايدت الحركة الوطنية المغربية النظام الجمهوري في اسبانيا على امل منها ان يتفهم غاياتها السياسية ومطالبها الوطنية ، وبالمقابل حاولت الحكومة الجمهورية ترجمة تلك السياسية الى واقع حي ، فساندت المشاريع الثقافية التي من شأنها تعزيز اواصر الود والصداقة مع العرب ، مثل مشروع الجمعية الاسلامية – الاسبانية ومشروع المدرسة العربية في غرناطة [4] .

وفي الواقع ان الحكومة الاسبانية تجاوبت مع مساعي الجمعية الاسلامية – الاسبانية في انشاء المدرسة بدعم من المستشرق (دي لوس ريوس) وزير

---

[2] مجلة الفتح العدد 308 ، السنة السابقة /30ربيع الثاني 1351هـ.

[3] Cabanelas, Dario . Escuela de Estudios Araes. Granada. Consejo Superior de Investigaciones , (cientificas) Granada , 1982اصد هذا الكراس مديرالمدرسة بمناسبة بمرور نصف قرن على تأسيسها ، وهو غير مرقم الصفحات

[4] تسمى احيانا بالجامعة العربية في غرناطة في بعض المصادر العربية

المعارف وعضو الجمعية الاسلامية –الاسبانية حيث اصدر بيان تضمن فيه اهداف المشروع وغاياته [5].
الا ان المصادر الاسبانية تغالي في ابراز دور المستشرقين الاسبان في تأسيس هذه المدرسة حينما اشارت الى ان هذا العمل جاء تحقيقا لطموح المستشرقين الاسبان المهتمين بالدراسات العربية انطلاقا من المقولة التي وردت في ديباجة قانون المدرسة العربية في غرناطة التي جاء فيها " ليس هناك امة في اوربا كالأمة الاسبانية يجب عليها ان تحتضن وتدعم الدراسات العربية [6]. وهي دليل ساطع على ان اسبانيا مهما بلغ فيها من روح التعصب فأنها لا يمكنها ان تتجاهل او تمحو تلك الحقبة النيرة من تاريخها والتي كان فيها العرب هم الاسياد على ارض الاندلس ، بسبب ما خلفوه من اثر حضاري ، لم يكن امام الاسبان اليوم سوى التفاخر به امام الامم الاخرى .

افتتاح المدرسة:
افتتحت هذه المدرسة في الثالث من حزيران 1932 استنادا الى القانون رقم 27 الصادر في كانون الثاني عام 1932 والمنشور في جريدة مدريد الرسمية في الرابع من شباط من العام نفسه ، وقد اصبحت هذه المدرسة مركزا للمجلس الاعلى للبحوث العلمية الذي تأسس بعدها وانضمت اليه بعد تاسيسه ، الانها بقيت مستقله تماما عن وزارة المعارف والعلوم الاسبانية واختيرت مدينة غرناطة مقرا لهذه المدرسة لعدة اعتبارات ، كان من ابرزها ان مدينة غرناطة هي اخر مدينة عربية استعادها الاسبان في حركة الاسترداد عام 1492.
لذلك فان اعادة بعث الثقافة العربية في هذه المدينة يؤكد جانبا من التواصل التاريخي بين ماضي المدينة وحاضرها.وتشير مصادر الاستشراق الاسباني

[5] مجلة الفتح العدد 314 ، السنة السابقة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .
[6] D. Cabanelas , Op. Cit.

الى ان تأسيس هذه المدرسة في غرناطة يتطابق مع وجهة النظر المذكورة اعلاه [7].

ولكي تكتسب هذه المدرسة عمقها التاريخي هذا فان الحكومة الاسبانية قررت احياءها ضمن بناء لمدرسة عربية قديمة لا تزال مبانيها قائمة منذ عهد بني الاحمر ملوك غرناطة ، كما لا تزال كتاباتها العربية وأياتها القرانية المنقوشة على المرمر باقية حتى يومنا هذا[8] .

وتشير مصادر الاستشراق الاسباني الى ان تاسيس هذه المدرسة في غرناطة انما جاء من اجل حفظ وصيانة الاثر العربي واعادة بعث الروح في هذه الاثار الزاهية لكي تبقى علامة مميزة وثابتة في تاريخ الاندلس والتي لها شرف وجود واستمرار الدراسات الاستشراقية في اسبانيا ويعتبر المستشرقون هذه المدرسةعلى انها وريثة لواحدة من اعرق المدارس العربية في الاندلس [9].

وقد خصصت لها الحكومة الاسبانية ميزانية سنوية مقدارها 120 الف بيزيتا [10].

من بينها نفقات التأثيث وتهيئة مستلزمات الدراسة وتكاليف المكتبة العربية التي يلزم شراؤها وجمعها من بلاد العرب ونفقات الهيئتين الإدارية والتدريسية[11].

وقد كان في نية الحكومة الاسبانية دعوة حكومات كل من مصر والسعودية والعراق واليمن لارسال ممثلين عنها الى غرناطة لمشاركتها في مراسم الافتتاح [12] .

وبهذا الصدد ذكر (شكيب ارسلان)انه تلقى دعوة للذهاب الى غرناطة لحضور افتتاح المدرسة ، وان يدعوا بدوره وجهاء العرب ومفكريهم وأن

---

[7] - Ibid - المصدر السابق .

[8] مجلة الفتح ، العدد 294، النسخة السادسة ، 13 محرم 1351هـ ،ص9.

[9] D. Cabanelas , op. cit 9.

[10] البيزتا ، والبسيتة كما تسميها المصادر العربية هي عملة اسبانية تعادل انذاك نحو قرشين مصريين او خمسة فلوس بالعملة العراقية القديمة.

[11] مجلة الفتح ، العدد 314 ، النسخة السابعة، جمادي الاخر 1351هـ.

[12] مجلة الفتح، العدد 294 ، النسخة السادسة ، 1351هـ.

يكتب الى الملك ابن سعود والامام يحيى حميد الدين والملك فيصل الاول لارسال من ينوب عنهم للمشاركة في حفل الافتتاح [13].
وقد دعا فعلا مجلة الفتح الى تاليف وفد مصري واخر سوري وعدد من اعلام العرب مثل احمد زكي باشا والشاعر احمد شوقي ، حيث سيكون لهذه المشاركة – كما يعتقد شكيب ارسلان – وقعا حسنا لدى الاسبان قد تنعكس اثارها ايجابيا على موقف اسبانيا من قضايا العرب[14].

المعارضة الداخلية
وفي الوقت نفسه كانت اسبانيا تتوخى من ذلك توطيد علاقاتها السياسية مع الاقطار العربية ،الا ان هذه السياسة المرنة من جانب الحكومة ، وهذا التوجه المتفتح من قبل بعض المثقفين والسياسيين الاسبان لم يترك لها الخيار في السير على هذا النهج وكان لا بد لها ان تثير في الجانب الاخر الجانح الى التعصب والاستعمار مشاعر البغض والاستعلاء الكامنة في اعماقه حيث تحركت فيه روح التامر ضدها لافشالها ويتمثل هذا التيار المناوئ بتركيبة متألفة من انصار الملكية السابقين الذين يتأملون في يوم من الأيام الأطاحة بالجمهوريين واعادة الملكية الى اسبانيا وكذلك رجال الدين الكاثوليك المعروفين بتعصبهم الديني والذين لا يزالون يأملون في تنفيذ وصية ايزابيلا الثانية بتنصير مسلمي المغرب فضلا عن مجموعة من المستشرقين الذين لا يؤمنون بامكانية قيام أي نوع من التقارب بين الشرق والغرب [15] .
ويروجون الى النظرة الأستعلائية الغربية ضد الشرق والشرقين بهدف تعزيز الوجود الاستعماري ، و قد شكلت هذه العناصر خليطا متجانسا لمواجهة سياسة النظام الجمهوري الهادفة الى ارساء قواعد جديدة للعلاقات العربية – الاسبانية.

---

[13] شكيب ارسلان " جواب الكتلة المغربية الوطنية في مصر " مجلة الفتح ، العدد 334 ، النسخة التاسعة ذي القعدة 1353 هـ، ص 9 / انظر ايضا شكيب ارسلان " تشييد البيت الاسلامي في مجريط " مجلة الفتح ، العدد 294 ، النسخة السادسة 13 1351هـ.
[14] مجلة الفتح، العدد 294، النسخة السادسة ، 13 محرم ، 1351هـ .
[15] مجلة الفتح، العدد 314، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخره ، 1351هـ.

ويبدو ان المستشرق الوزير (نيكولاس ريوس) قد أخطأ في دفع المشروع الى مجموعة من المستشرقين الذين لا تروق لهم النوايا التي تضمنها بيان المدرسةحول مشروعها والذي عدها وسيلة من وسائل التقرب الى العرب المسلمين ، فعملوا على إحباطه والتقليل من شأنه لا سيما تلك الفئة المتعصبة من المستشرقين الذين سبق اعدادهم من قبل النظام الاسباني السابق للعمل على نشر المسيحية في المغرب العربي وتوسيع السياسة الاستعمارية فراحوا كما تقول مجلة الفتح " يتخذون جميع الوسائل لقتل المشروع في مهده حتى تطمئن الكاثوليكية في اسبانيا على مستقبلها [16]. وقد نجحت تلك ألضغوط في ثني الحكومة الاسبانية على المضي في هذه السياسة بتعين المستشرق الاسباني (اميلو كارثيا كوميث Emilo Garcia Gomez)* تجسيدا لحالة التراجع الرسمي هذه.

وعلى النقيض من هذه الرؤية نجد ان المستشرقين الاسبان يشيدون بالجهود التي بذلها الدكتور كوميث الذي حافظ على استقلالية المدرسة امام التقلبات السياسية التي شهدتها البلاد دون ان يعرضها للخطر من خلال نظرته المستقبلية الصائبة ، ويرى هؤلاء ان لكوميث الفضل الكبيرفي ان تكون هذه المدرسة تحت اشراف رئاسة جامعة غرناطة ، حيث لقيت رغبته هذه الدعم والتأييد من قبل الجهات المسؤولة التي صادقت على القانون الخاص بها [17] .

وكان (كوميث) متأثرا برأي استاذه (اسين بلاثيوس Asin Palacios [18]) بانه لا يمكن للغرب ان يتلاقى مع الشرق ، وان كل محاولة في هذا

---

[16] مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

* من خلال معرفتي الشخصية بالمستشرق الكبير Gomez رأيت فيه سلامة الرأي والمحبة الصادقة للعرب أي بعكس ما ورد في نقد بعض الصحف له التي ورد ذكرها في هذا البحث .

- الباحث -

[17] D. Cabanelas , op. cit

[18] ايسن بلا ثيوس :- ولد في تركوتا " سرقطة " عام 1871 وتوفي عام 1944 ، كان راهبا واستاذا اكادميا للغتين الاسبانية والعربية في الجامعة المركزية ، كرس حياته للبحوث والدراسات العربية -الاسلامية والمسيحية في العصر الوسيط ، عام 1919 ديوانا كوميديا

السبيل هي محاولة ضائعة كما تجلت مظاهر العداء لهذا المشروع باقبح صورها من خلال التصريحات التي ادلى بها احد اقطاب هذه الفئة من المستشرقين وهو المستشرق الاب اوردونيا R.P. Orduna) التي قال فيها " ان المدرسة ستموت في مهدها معلنا تخوفه من امكانية استفحال محاولات الامتداد العربي الاسلامي الى اسبانيا مرة اخرى[19] .

وبناء على ذلك شّنت مجلة الفتح حملة على مدير المدرسة المستشرق (اميليو كارثيا كوميث) متهمة اياه بالعمل على التقليل من شأن المدرسة وتحويلها الى مجرد مدرسة صغيرة ليس لها استقلال أداري بل هي فرع متمم لفروع اللغات والفلسفة في كلية الاداب بجامعة غرناطة ، وتتضمن مناهجها تدريس اللغة العربية الى جانب الشريعة الاسلامية واللغة العبرية ، وحدد عدد المقبولين فيها بما لا يزيد عن ستة طلاب من الأسبان فقط ، وقالت المجلة في مقالها الافتتاحي بهذا الشأن ان كوميث عارض قبول أي طالب مسلم فيها ، وانه فاتح الجهات المسؤولة في كل من مصر والمغرب تزويد المدرسة بمدرسين لمساعدته في تدريب الطلبة على اللهجتين المصرية والمغربية ، وانه حدد هدف المدرسة بتخريج مستشرقين من الأسبان وليس اكثر من ذلك ، قائلا انه يجب الا يخطر ببال احد ان اسبانيا ستقوم بتأسيس جامعة عربية شرقية اسلامية في غرناطة ، كما انه رفض توجيه الدعوات التي اقترحت لبعض الشخصيات العربية ، الفكرية والسياسية لحضور حفل الافتتاح ، متذرعا بصغر حجم المدرسة وبساطتها فضلا عن رغبة الحكومة الاسبانية في المحافظة على علاقتها الودية مع فرنسا التي تعارض المشروع على ان يكون حفل الافتتاح متواضعا حيث حضره نحو عشرون شخصا معظمهم من الاسبان ما بين معلم وتلميذ [20]

يبدو ان التهم التي ساقتها "الفتح" ضد كوميث كان فيها شيء من المبالغة اذ قضى قانون المدرسة على ان تكون ملحقة برئاسة جامعة

انما اصدر كتاب عن المسلمين الذين تنصروا بعد حركة الاسترداد المسيحي للتفاصيل راجع :- Lopez , Jose Garcia , Historia de la literatura Espanola . Ed . Barcelona , 1972 , P. 577

[19] مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

[20] مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

غرناطة ، مع تأكيد استقلاليتها التامة عن كلية الاداب في الجامعة المذكورة، كما نص على ان تكون تحت اشراف لجنة مكّونة من كل من رئيس الجامعة وعميد كلية الاداب والمهندس المشرف الفني على قصر الحمراء مع اثنين من أساتذة كليةالادب،احدهما يتم تعيينه بشكل متفرغ من نفس الكلية والاخر يكون من المختصين بالغة العربية [21] كما ان المدرسة قبلت عددا من طلبة المغرب الى جانب الطلبة الاسبان . الا ان االجماعة المعارضة للمشروع تمكنت من اقناع وزير المعارف الاسباني دي لوس ريوس بان امكانيات النهوض بمثل هذا المشروع الذي يطمح الوزير ان يكون بمستوى الجامعة لا يتوفر في اسبانيا .

وان عدد حاملي الشهادات في الاستشراق لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة ، ولا يكفي عددهم هذا لتعليم عشرة تلاميذ ، فأذا اطّلع العرب على هذه الحقيقة " فسيكون ذلك وسيلة لزرع الفتنة بين العرب والاسبان "[22] .

وسينعكس ذلك على مصالح اسبانيا ايضا ، وهكذا اقتنع الوزير ان مشروعه الى جانب ما يحف به من مخطار سياسية على مصالح اسبانيا اصبح مشروعا صعب التحقيق بالمستوى الذي يطمح اليه.

ولم تكن تلك المعوقات التي وضعها المستشرقين أمام المشروع سوى اوهام لا تستند الى حقائق، هدفها إفشال المشروع والتقليل من أهميته إذ كان بأمكان دي لوس ريوس أن يدفع به الى مجموعة من المستشرقين الشباب المتخرجين من الجامعات والذين اهتموا بالدراسات الاسلامية واداب اللغة العربية وهذه الفئة من المستشرقين هي اخلص للاستشراق من فئة رجال الدين على مايبدو ، لانها اقبلت على الاستشراق محبة للشرق واعجابا بالثقافة العربية ، وتميزت هذه الفئة من الشباب بكونها اما متنورة تبغض التعصب بكل اشكاله او انها متدينة ولكن بروح متفتحة مليئة بالتسامح وسعة الصدر ، ولذلك فهي لا تجد غضاضة في نشر الثقافة العربية – الاسلامية في عموم اسبانيا [23]. ومع كل ذلك فأن مشروع فتح المراكز والمدارس

---

(21) D. Cabanelas , op. cit

(22) مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

(23) مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

العربية الاسلامية في اسبانيا لا يخلو من النقد والمعارضة ، كما سنرى من الحملات المعادية التالية :-

أولا:المعارضة الخارجية

لقد تصاعدت الحملة المعادية للمدرسة العربية ، ليس في داخل اسبانيا وحدها فحسب وانما امتدت لتشمل دولا اخرى لها مصالح استعمارية قوية في اقطار المغرب العربي كأيطاليا وفرنسا . ففي ايطاليا قالت جريدة المستقبل العربي [24] التي تمولها الحكومة الايطالية لبث الدعاية لها في الاقطار العربية لشن حملة عنيفة على مشروع المدرسة زاعمة انها " دسيسة استعمارية " فتصدت لها مجلة الفتح متهمة إياها بالترويج للسياسة الاستعمارية الايطالية في المنطقة العربية ، وهاجمت سياسة العنف والارهاب والابادة التي اتبعتها ايطاليا ضد الشعب الليبي وحركته الوطنية " [25] .

اما في فرنسا فقد كانت ردود الفعل اكثر عنفا ازاء المدرسة العربية ، حيث قامت بمساع مؤثرة في العاصمة الأسبانية للحيلولةدون امكانية فتح هذه المدرسة ، وصرف النظر عن دعوة الملوك العرب لإرسال من ينوب عنهم لحضور حفل الافتتاح ، وشنّت الصحافة الفرنسية بدورها حملة عدائية كبيرة ضد سياسة اسبانيا هذه منها صحيفة "لاديبش كولنيال" التي عدت هذه السياسة خطرا ليس على مصالح اسبانيا وحدها فحسب وانما على مصالح فرنسا ايضا [26] .

واخذت تستفز السلطات الاسبانية من اجل اثارتها ضد الحركة الوطنية المغربية ، فعمدت الى نشر المقالات التي تسي الى العلاقات العربية الاسلامية الاسبانية في شؤون منطقة حمايتها ووصف سياسة المرونة هذه بانها تنازلات لا مبرر لها من طرف اسبانيا [27].

---

[24] جريدة " يشرف عليها تحريرها منبر اللبابيدي "

[25] مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ .

[26] نفس المصدر السابق ص2 .

[27] شيكس ارسلان " جواب الكتلة المغربية .." المصدر السابق ص19 .

ثانيا: تراجع الاهتمام بالمشروع

اسفرت الدسائس التي حاكتها ايطاليا وفرنسا بالتعاون مع التيار المتعصب من رجال الدين ودعاة التبشير من المستشرقين ، عن تراجع كبير في التوجهات السياسية المرنة لحكومة الجمهورية الاسبانية ، فأنقلبت الامور على اعقابها . ويقول شكيب ارسلان عن ذلك " بينما كنا نتهيأ للسفر ، وكدنا نكتب الى ملوك العرب نرجوهم ان يرسلون من يمثلهم في افتتاح جامعة غرناطة العربية ،اذ علمنا بأن الحكومة الاسبانية عدلت عن هذا المشروع فجأة فلا تأسيس جامعة ولا احتفال ولا اجتماع عربي في غرناطة ولا شيء اخرمن هذا القبيل "[28] .

و يقول الحسن بو عياد انه لم يحضر حفل الافتتاح سوئ ممثل ملك المغرب في منطقة الحماية الاسبانية [29].

ويظهر ان الحملة المعادية للمشروع لم تفلح في القضاء عليه نهائيا الا انها افلحت في تحويله الى مجرد مدرسة صغيرة لتخريج مستشرقين اسبان و عددا قليلا من طلبة المغرب الذين تخصصوا في ميدان الاستشراق وتاريخ الاندلس [30] .

و هناك حقيقة لابد من الاشارة اليها ، وهي ان اهتمام العرب انفسهم بهذه المدرسة تضاءل ايظا بمرور الزمن ، لا سيما بعد كشف النقاب عن محاولات الحركة الماسونية التي نشطت في اسبانيا ابان العهد الجمهوري لاستغلال توجيهات هذا النظام المرنة خدمة لاغراضها و اهدافها الخفية ، فقامت بعض عناصرها المتغلغلة في بنية النظام الجمهوري بمساندة المشروع ، وكان هدفها من وراء ذلك تحويله تدريجيا الى مركز ثقافي للدراسات العربية ، ونجحت فعلا في ادخال بعض المواد الخاصة بالثقافة العربية، كما انها هدفت من ورائها ايظا اضعاف الفئة المتعصبة التي تتخذ من الدين وسيلة للتفريق بين الطوائف والاديان الاخرى ومنها اليهود ،

---

[28] نفس المصدر السابق ص 20 .

[29] الحسن بو عياد / اسبانية والاسلام في المغرب "مجلة الفتح" العدد 311 ص7 ، جمادي الاولى 1351.

[30] D. Cabanelas , op. cit

وكذلك اضعاف الكتلكة الاتينية الجامدة التي سيطرت على عقلية الشعب الاسباني قرونا طويلة [31].

وازاء هذا التراجع في سياسة التقارب العربي – الاسباني لم يكن امام المغاربة سوى وضع حد لتلك الامال التي عقدوها على قيام النظام الجمهوري ، فقالت مجلة "[33]مغرب " لقد بدأ المغاربة في المنطقة الاسبانية يأسفون على ايام الملكية الهادئة فأن العسكريين في ذلك العهد كانوا يتحلون بالشهامة ، اما جماعة اليسوعيين اليوم المتنكرون ، وعلى راسهم (موليس) المندوب السامي فأنه غير قادر على المبادرة ، وهم ليس سوى العوبة بأيدي اصغر مسوول في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب [34] .

وقد ادت هذه الاحداث و الحملات الصحفية التي شنتها مجلة الفتح على (كوميث) ولرغبة الحكومة الاسبانية في المحافظة على روابط الود مع المغاربة وبقية انحاء الوطن العربي الى اصدار قرار بنقله 1935 الى جامعة مدريد ، وبنقله انتهت المرحلة الاولى من حياة هذه المدرسة [35] .

ثالثا: مرحلة الاستمرار للمدرسة

بدأت الاحداث تتلاحق في اسبانيا خلال تلك الفترة بعد ان تفاقمت الاوضاع السياسية الداخلية واصطبغت بالصراعات المريرة بين قوى اليمين وقوى اليسار ، واصبح النظام الجمهوري منشغلا بمواجهة تناقضاته والدفاع عن

[31] مجلة الفتح العداد 314 ، السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هـ.

[33] مجلة شهرية اصدرت في باريس – احمد بلا فريج وعدد من الوطنيين المغاربة ورئس تحريرها الاشتراكي الفرنسي – روبير جان لونجي – وساهم في تحريرها عدد من الاشتراكيين الفرنسيين مع مجموعة من المثقفين الاسبان مثل ايتيان انطونولي و أرجيلا – للتفاصيل راجع ، عبد الكريم غلاب ، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ، دار البيضاء 1976 ص89

[34] مجلة المغرب العدد 14 ايلول 1933 نقلا عن عبد الكريم غلاب – المصدر السابق ، ص90.

[35] D. Cabanelas , op. cit

نفسه حيث خسر اليسار الاغلبية في التمثيل في مجلس النواب (الكورتيس) وتحولوا الى اقلية لا تملك سوى نسبة 21% من المقاعد النيابية [36] .

وما لبثت البلاد ان دخلت في حرب اهلية على اثر الانقلاب الذي قاده الجنرال فرانكو عام 1936 , حيث بدأت مرحلة جديدة من العلاقات العربية –الاسبانية وهي اخطر مرحلة تشهدها اسبانيا في تاريخها المعاصر.

وخلال تلك السنوات المليئة بالاحداث استطاعت المدرسة ان تجتاز الازمة الاكثر خطورة في تاريخها تلك هي ازمة الحرب الاهلية التي امتدت من عام 1936 الى عام 1939 لا سيما بعد خلو المدرسة من مدير فاعل بعد ان غادرها كوميث عام 1935 الى ان انتدب اليها في مايس عام 1937 (انخل كونثالث بالنثيا Angel Gonzalez Palencia) الذي استطاع الوصول الى غرناطة من الأراضي الاراكونية ،والذي حافظ بدوره على استمرار نشاط المدرسة في تلك الفترة الحرجة واعقبه (انطونيو كاييكو بورين Antonio Gallego Burin) حيث استمر في ادارتها حتى عام 1943 ، وفي هذه السنة تسلم (لويس سيكو Luis Seco de Lucena) ادارة المدرسة واستمر في هذا المنصب حتى احيل على التقاعد عام 1972 فأعقبه (داريو كابانيلاس رود ريكيث Dario Cabanelas Rod Riguez) الذي اصدر كراسا خاصا عن المدرسة ، واقام احتفالا بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيسها في عام 1982 ، دعا فيها المستشرق اميلو كارثيا كوميث مديرها الاول وعدد من المهتمين بالدراسات الاستشراقية وبالرغم من تعاقب هؤلاء المدراء المستشرقين وهم في الاغلب من رجال الدين الكاثوليك ، فقد تجاوزت المدرسة المراحل الحرجة التي مرت بها ، وقد انعكس ذلك على نشاطها المحدود بشكل سلبي بسبب الاوضاع السياسية التي عاشتها اسبانيا [37].

والجدير بالذكر ان هذه المدرسة تحتوي على مكتبة ضخمة تضم العديد من المجلدات والكتب والمخطوطات العربية والاسبانية فضلا عن المجلدات

---

[36] محمد العربي المساري ، المغرب – اسبانيا في اخر مواجهة ، د ، ت ،ص22

[37] D. Cabanelas , op. cit .

الكاملة لمجلة "الاندلس " التي رأس تحريرها (اميلوكارثيا كوميث) وقد اصدرت المدرسة عام 1982 فهرسا بالمطبوعات والمخطوطات والبحوث التي تحتويها المكتبة او التي نشرتها مجلة "الاندلس" [38], ولا تزال هذه المجلة قائمة الى يومنا هذا حيث تعد واحدة من ابرز مراكز الاستشراق في اسبانيا اليوم .

الخاتمة

عند ظهور التيارات الثقافية في اسبانيا التي اخذت تدعو الى مد الجسور بين الحاضر والماضي اي بين العرب واسبانيا التي من شأنها توثيق الروابط وتطويرها عن طريق فتح المدارس والمراكز الثقافية العربية في اسبانيا,فجاء افتتاح المدرسة العربية في غرناطة في عام 1932 التي اصبحت فيما بعد احد اهم المراكز للبحوث العلمية في شبه الجزيرة الايبرية وقد اختيرت مدينة غرناطة،مقرا لها حيث يعود افتتاح هذة المدرسة الى عمقها التاريخي باعتبارها وريثة لواحدة من اعرق المدارس العربية في الاندلس.

كما يرجع اهتمام اسبانيا لهذه المراكز الثقافية العربية هو من اجل توطيد علاقاتها السياسية والثقافية مع الاقطار العربية ، الا أن هذه السياسة المرنة من قبل الجانب الاسباني لم يترك لها الخيار في السير على هذا النهج اذ تحركت فيها روح التآمر ضد هذه المراكز الثقافية العربية لافشالها ، فضلا عن بعض المستشرقين الذين لا يؤمنون بامكانية قيام اي نوع من التقارب العربي الاسلامي مع اسبانيا بشكل خاص والغرب الاوروبي بشكل عام . وقد رأينا من خلال هذه الدراسة المختصرة بعضا اخرا من المستشرقين والمستعربين الاسبان يشيدون باحياء مثل هذه المراكز العلمية والثقافية كالمستعرب الاسباني وعميد المستشرقين الاسبان أميليو كارثيا كوميث الذي

---

(38) . Escuela de Estudios Araes. de Granada. Catalogo de Exposicion Celebrada Con Motivo de Cincuentenario (1932-1982) , Granada , 1982 .

ساهم مساهمة فعالة في اعادة هذه المدرسة في عام 1932 مما صادف حضوري شخصيا[1] في الاحتفال بيوبيلها الذهبي في الثالث من حزيران عام 1982 وبدعوة من المستعرب الاسباني الكبير أميليو كارثيا كوميث حيث جرى الاحتفال بحضور العديد من الشخصيات الاسبانية والهيئات الدبلوماسية العربية والاجنبية العاملة في أسبانيا .
وقد قضى قانون المدرسة المذكورة ان تكون ملحقة برئاسة جامعة غرناطة مع التأكيد على استقلاليتها التامة عن كلية الآداب في الجامعة المذكورة .
هذا وقد تصاعدت الحملة المعادية للمدرسة العربية ليس في داخل أسبانيا وحدها فحسب بل امتدت لتشمل دولا اخرى كفرنسا وايطاليا عبر اجهزتها الاعلامية والصحفية . ورغم ذلك ، استطاعت المدرسة ان تجتاز الازمات الاكثر خطورة في تاريخها ألا وهي أزمة الحرب الاهلية الاسبانية التي امتدت من عام 1936 – 1939 . ويمكن للقارىء هنا ان يتابع ما آلت اليه المدرسة في مرحلة الاستمرار المذكورة في الصفحة التاسعة عشر من هذا البحث المتواضع .

المصادر العربية

1- الحسن بوعياد ، أسبانيا والاسلام بالغرب ، مجلة الفتح العدد 311 ، 21 جمادي الاولى 1351 هجري ، صفحة رقم 1 .
2- عبد الكريم غلاب ، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ، الدار البيضاء علم 1976 ، صفحة 81 .
3- كراس مدرسة الدراسات العربية في غرناطة سنة 1982 . الذي صدر بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبي للمدرسة المذكورة.
4- لوبيث ، خوسيه كارثيا ، تاريخ الادب الاسباني ، طبعة برشلونة 1972صفحة .577
5- محمد العربي المساري ، المغرب – اسبانيا في آخر مواجهة صفحة 22 ، بلا تاريخ .
6- مجلة الفتح العدد 314 السنة السابعة ، 13 جمادي الاخرة 1351 هجري .

7- وليم كار ، احجار على رقعة الشطرنج ، الطبعة السابعة بيروت 1985 صفحة 57 – 60 .

المصادر الاجنبيـة

1-Cabanelas ,Dario . Escuela de Estudios Arabes . Granada , consejo superior de investigaciones cientificas – Granada 1982

2-Lopez , jose Garcia , Historia de la literaturaEspanola . Ed. Barcelona 1972 P.577